

مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا
الدورة التدريبية السابعة - شيكاغو

October 1&2 2011

الشريعة الإسلامية ومفهوم المواطنة والاندماج في مجتمعات غير المسلمين

إعداد

د/ محمد موفق الغلاييني

عضو المجمع واللجنة الدائمة للإفتاء التابعة له

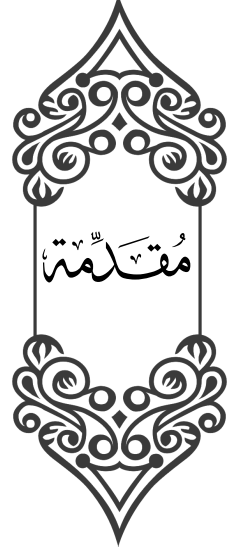
عضو هيئة التدريس بأكاديمية الشريعة

والجامعة الإسلامية الأمريكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: كثر في الآونة الأخيرة وعبر وسائل الإعلام الأمريكية المختلفة الحديث عن مدى خطورة الشريعة الإسلامية على المجتمع الأمريكي، وصور هذا الأمر على أنه نوع من التمرد على كيان وتماسك هذا المجتمع بيث يبدو للمتابع لهذه الوسائل وكأن الإسلام جسم غريب يوشك أن ينهك الجسد الأمريكي لذا ويلحق به أفتك الأمراض! لذا فلا بد من انتزاعه قبل أن يسفحل المرض ويتعذر العلاج!



ومن الأمور التي صورت على أنها من أوجه الخطر الكامن في الشريعة: (مسألة المواطنة). فالمسلمون - حسب تصورهم - وبتوجيه من شريعتهم لا يمكن لهم الاندماج ضمن بنية المجتمع الأمريكي، فهم يعيشون بأجسادهم في هذا البلد وأرواحهم وقلوبهم متعلقة بأوطانهم الأصلية، كما أنهم لا يشاركون مواطنيهم الأمريكيين أفراحهم وأتراحهم، ولا يقبلون عاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم الموروثة. والأهم من هذا كله فإن ولاءهم ليس لهذا البلد وإنما للبلاد التي أتوا منها، وهذا يؤدي بزعمهم لعزلة المسلم عن مجتمعه الأمريكي. وبهذا فإن المسلم - وبتوجيه من دينه - لا يمكنه أن يكون مواطناً أمريكياً حقيقياً! وبهذا تصبح المفاهيم المتعصبة ضد المسلمين هي مقياس المواطنة الصادقة، وهذا يربك كثيراً من المسلمين ويجعلهم في حيرة من أمرهم.

إذاً فدائرة بحثي تدور حول الإجابة على هذا السؤال: (هل تعاليم الشريعة الإسلامية تتعارض مع المواطنة والاندماج في بلاد غير المسلمين؟).

أجيب على هذا السؤال عبر المبحثين التاليين:

١- الرد الفقهي على هذه الشبهة

٢- نظرة تاريخية للأقلية المسلمة في بلاد غير المسلمين.

المبحث الأول

الرد الفقهي على هذه الشبهة

الإسلام دين ذو طابع إنساني، فهو يُرجع نشأة الخلق الإنساني إلى مصدر واحد. فهو أول شرعة ربانية كبرى دعا إلى الوحدة الإنسانية الشاملة ليعيش الناس في تفاهم ومودة وتعاون وأمن واستقرار، ونرى صدق هذا في نصوص كثيرة، منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١) وقوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

عن سعيد الجُرَيْرِيُّ قال حدثني أبا نضرة قال: حدثني من شهد خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ».^(٣)

فالإسلام يعترف بالأخوة الإنسانية. ولذا فالمسلم يستطيع العيش مع الآخرين ممن يختلف معهم في الدين أو المعتقد بسلام وأمن على أن يلتزم بما فرض عليه من عبادات وأحكام تتعلق به أو بأسرته. أما التشريعات الإسلامية الخاصة بالمجتمع فإن الإسلام يطالب بها المسلم ليطبق منها ما يستطيع، ولا يجبر الآخرين على التقيد بها في المجتمعات التي لا تنضوي تحت حكمه. فأحكام الإسلام التشريعية إنما تطبق في ديار الإسلام التي للحاكم المسلم عليها ولاية وسلطان.

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم ٢٣٩.

تعريف المواطنة:

المواطنة كلمة تتسع للعديد من المفاهيم والتعريفات. فالمواطنة في اللغة مأخوذة من كلمة: (الوطن) وهو الذي يوفر الإقامة والحماية. أما كلمة: (مواطنة) فهي تصريف على وزن: مفاعلة من كلمة وطن، والعرب عرّفوا الوطن معرفة مبسطة فهو مجرد مقر الإقامة، فالوطن هو: (المنزل الذي نقيم به وهو موطن الإنسان ومحلّه، ويقال أوطن فلان أرض كذا أي اتخذها محلاً وسكناً).^(١)

ويكاد هذا التعريف أن يتطابق مع مختلف القواميس العربية القديمة. ولكننا نجد إضافة بسيطة في القاموس العربي الحديث. فالوطن هو: (مكان إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماءه ولد به أو لم يولد).^(٢) فهذا التعريف الحديث يضيف فكرة الانتماء للوطن، وهي فكرة حديثة.

ولعل التعريف القديم قرر في زمن سبق قيام الدولة الحديثة، فقد كان تعريف الوطن هو تلك المساحة من الأرض التي تقيم فيها جماعة متألّفة من البشر يكونون قبيلة أو جماعة عرقية أو دينية.

ولكننا نرى اهتماماً خاصاً بهذا المصطلح مع ظهور الدولة الحديثة وحدودها الجغرافية والسياسية. فلفظ «مواطن» كمصطلح لم يظهر إلا بعد الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م).

وقد توسعت نظرية المواطنة مع التطور وظهور الحركات السياسية والحقوقية وتغير المنظومة السياسية العالمية وظهور نظم الديمقراطية الليبرالية لتطالب بتوفير الدعامات الثانية للمواطنة وهي: المواطنة الحقوقية وبذلك قسمت حقوق المواطنة إلى ثلاثة مكونات:

(١) لسان العرب لابن منظور.

(٢) المعجم الوسيط: ١٠٨٥/٢.

١- المواطنة المدنية: وتعد إحدى أهم نتائج القرن الثامن عشر، والتي أقر من خلالها بعض الحقوق المدنية مثل: حرية التعبير والفكر والحريات الدينية، وكذلك إقرار لمبدأ المساواة أمام القانون.

٢- المواطنة السياسية: وظهر مفهومها مع القرن التاسع عشر، وتؤكد على الحقوق الخاصة بالمشاركة في إدارة الشأن العام للبلاد، والمشاركة السياسية مثل الحق في التصويت والترشيح للوظائف العامة.

٣- المواطنة الاجتماعية: وظهر مفهومها في القرن العشرين. وهي المكون الذي يعتني بضمان حد أدنى من الأمن الاقتصادي للمواطن لحمايته من قوى السوق خاصة بعد أن ظهر على السطح عيوب الممارسات الرأسمالية، وهو ما كان يعني ضرورة تدخل الدولة لضمان الحدود الدنيا من الأمن المادي والاقتصادي لرعاياها.

وهناك منظور نفسي للمواطنة وهو الشعور بالانتماء والولاء للوطن، وللقيادة السياسية التي من مهماتها تأمين الحاجات الأساسية للمواطنين، وحمايتهم من الأخطار الداخلية والخارجية. وبذلك فالمواطنة هنا تؤكد على أهمية العلاقة مع الأرض وأهل البلد معاً.

والمواطنة بصفتها مصطلحاً معاصراً تعريب للفظة (Citizenship) التي تعني كما تقول دائرة المعارف البريطانية: (علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة في تلك الدولة، على أن تتضمن هذه المواطنة مرتبة من الحرية، مع ما يصاحبها من مسؤوليات). وإذا رجعنا إلى دائرة المعارف الأمريكية (الانسكلوبيديا الأمريكية) نكتشف أن مفهوم المواطنة هنا يتسع ليضمن حقوق متساوية لمهاجرين أتوا في مجموعات كبيرة من عديد من البلدان، ومن ثم اتسع محققاً أيضاً وفي ذلك الوقت المساواة الكاملة بين الجميع، ومع الحاجة إلى الحد من هجمات الهجرة الجماعية صدر عام ١٩٢٥م قانون يمنع الهجرة الجماعية، ويحرم المواطن من الجنسية إذا حصل طوعاً على جنسية أخرى، أو خدم في جيش بلد آخر. لكن المحكمة

العليا الأمريكية أصدرت حكماً شهيراً في عام ١٩٦٧ مؤداه أنه لا يجوز سحب الجنسية من مواطن أمريكي إلا بإرادته الحرة.^(١)

والخلاصة، فإنه يقصد بالمواطنة: العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات. وهو ما يعني أن كافة أبناء الشعب الذين يعيشون فوق تراب الوطن سواسية بدون أي تمييز قائم على أي معايير تحكومية مثل: الدين أو اللون أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي والموقف الفكري. ويترتب على التمتع بالمواطنة سلسلة من الحقوق والواجبات ترتكز على أربع قيم محورية هي: المساواة، والحرية، والمشاركة، والمسؤولية الاجتماعية.^(٢)

فالمواطنة إذا لا تعني - في المفهوم الحديث - مجرد العيش والسكن، بل يترتب عليها حقوق وواجبات تتطلب من المواطن المشاركة الفكرية والاجتماعية والسياسية بل والاقتصادية في أغلب الحالات.

موقف الإسلام من المواطنة:

الأصل بالنسبة للمسلم أن يستوطن بلداً مسلماً كي يستطيع ممارسة كافة أحكام دينه من جهة، والتنعم ببيئة إسلامية تعينه على إقامة شعائر الإسلام وأحكامه على نفسه وعلى من استرعاه الله أمرهم من زوجة وولد. ولكن إذا وجد مبرر مشروع لإقامته خارج ديار الإسلام فإنه يظل مطالباً بتقوى الله ما استطاع. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣) وقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت... الحديث» ولكن لا بد من تفصيل بعض الأمور المتعلقة بهذا، وبخاصة في الرد على ما يرد من شبهات من اتهام

(١) اقتباساً من مقال للدكتور: صابر أحمد عبد الباقي - كلية الآداب جامعة المنيا. بعنوان: المواطنة حقوق وواجبات. نشرت على صفحته الإلكترونية. وأمانى قنديل (الموسوعة العربية للمجتمع المدني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٠٦.
(٢) أنظر: هاني عياد (المواطنة في التعليم) سلسلة إصدارات منتدى حوار الثقافات (٢٦)، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ص ١١-١٢.
(٣) التغابن: ١٦.

المسلمين بعدم قدرتهم على الاندماج في مجتمع ديار الغربية، أو كونهم لا يستطيعون تحقق متطلبات المواطنة - بمفهومها الحديث - على أنفسهم وعلى أسرهم.

ولعل أقصر طريق لهذا أن نورد الشبهات المثارة ونرد عليها واحدة بعد الأخرى والله المستعان على ذلك.

الشبهات المثارة حول موقف الشريعة من مفهوم المواطنة:

رأينا عند البحث في مفهوم المواطنة أنها تشتمل على جوانب عدة. لذا فلا بد من تغطية هذه الجوانب جميعها إذا أردنا الرد العلمي على الشبهات المثارة. من هنا نستطيع حصر هذه الشبهات في أربعة جوانب هي:

١- الجانب الفكري.

٢- الجانب الاجتماعي والسياسي.

٣- الجانب النفسي.

١- الجانب الفكري:

لعل أكثر ما يدور الحديث عنه هنا مسألة الولاء والبراء. فالشبهة هنا تتلخص في قولهم بأنه لا يمكن للمسلم أن يكون مواطناً حقيقياً في أمريكا أو أوروبا مثلاً لأنه لا يستطيع إعطاء ولاءه للبلد غير المسلم الذي يقيم فيه، فهو مطالب شرعاً بعدم الولاء لهذه البلاد لأنها بلاد كفر. بل عليه التبرؤ منها. لو تفحصنا آراء العلماء في معنى الولاية رأينا معناها ينحصر في أمرين أساسيين هما: المحبة والنصرة.

فالمسلم يمنح حبه القلبي لمن يشاركه الله ولرسوله وللمؤمنين. قال تعالى: ﴿إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥﴾ وَمَنْ تَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾^(١) والمواطنة لا تتطلب المحبة القلبية لكل شيء، بل تتطلب القيام بالمسؤوليات المشتركة بين جميع المواطنين حسب القوانين، علماً بأن هذه القوانين تعطي الحرية للأفراد ليعتقدوا ما يشاءون من معتقدات أو أفكار بشرط عدم مساسها بالنظام العام للدولة.

أما النصره فتعني العون على الحق لا على الباطل. ومن هنا فإن المسلم ينصر الدولة التي يستوطن فيها ما دامت تنصر الحق، فإذا تعارض ذلك مع عقيدة المسلم فإن الحرية المعطاة له بمفهوم المواطنة الحديث تسمح له بالتعبير عن رأيه المخالف، لكن بما لا يلحق ضرراً بالبنية العامة للمجتمع. وأدل مثال على ذلك الملاكم المسلم: محمد علي كلاي الذي رفض المشاركة في حرب فيتنام وتم حسبه بناء على ذلك. ولكن في النهاية كرم لموقفه الشجاع هذا، إذ تبين للأمريكيين فيما بعد أن هذه الحرب كانت خاطئة ولم تكن ذات مصداقية أخلاقية. لذا أصبح كلاي بطلا قومياً، ولم يطلب أحد سحب الجنسية الأمريكية منه خلال تلك الفترة الحرجة رغم موقفه السلبي من حرب كان الجيش الأمريكي متورطاً فيها.

أما بالنسبة للمحبة فإن المواطنة لا تعني أن نحب كل ما يتعلق بالبلد الذي نقيم فيه، بل تعني - كما بينت سابقاً- ترتب حقوق وواجبات على المواطن. كما إن المحبة الخاصة التي يمنحها المسلم لمن يشاركونه في المعتقد لا تعني الحقد أو العداوة للمخالف ما دام لا يعاديه أو يعين عليه عدوه قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

(١) المائة: ٥٥ - ٥٦.

(٢) الممتحنة: ٨.

ولعل من تمام الفائدة هنا أن أختتم هذه الفقرة بذكر ما جاء في البيان الختامي للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في دورته العادية السابعة عشرة المنعقدة بمدينة سرايفو/ البوسنة والهرسك في أيار/ مايو ٢٠٠٧ فقد أقرّ بأن مواطنة المسلمين في المجتمع الأوروبي أمر مشروع من حيث المبدأ، تسعه مقاصد الدين الإسلامي، إذ تمثّل هذه المواطنة جسراً بين العالم الأوروبي والعالم الإسلامي مما يعود على العلاقة بين الطرفين بالخير. وهي لا تخالف الولاء الشرعي، إذ لا يلزم من وجود المسلم في غير ديار الإسلام الالتزام بما يخالف دينه من مقتضيات المواطنة، كالدفاع عنها إذا اعتدي عليها، والأصل أن يكون المسلمون في مقدّمة من يدفع الضرر عن بلده، كما لا يحل له أن يشارك في أي اعتداء تقوم به بلده على أي بلد آخر سواء كان إسلامياً أم لا. ومن واجبات المواطنة التعايش واحترام الآخر، والتزام القيم الأخلاقية كالعدالة والتعاون على الخير، والنصح من خلال القوانين السائدة لإصلاح ما يضر البلاد أو العباد. كما أن اندماج المسلمين الإيجابي في المجتمع الأوروبي لا يتعارض مع مبدأ الولاء والبراء، فإذا ما أعيد إلى معناه الأصلي الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة فإنه لا يكون معارِضاً لمواطنة المسلمين وتفاعلهم مع المجتمع الأوروبي.. ويتجلى هذا التفاعل بالمشاركة في التنمية الحضارية أخذاً وعطاءً، التي من شأنها حين تُصبح ثقافة للمسلمين، أن تيسّر الاندماج الإيجابي والمواطنة الصالحة.

ولكن الاندماج موضوع البحث محفوف بالمزاتق، وهو مُعرض إلى أن ينتهي بالذوبان كما حدث في تجارب سابقة للمسلمين؛ لذلك ينبغي أن تُحدّد له ضوابط وقواعد تسيّر به في مساره الوسط المُنتج، وتعصمه من الانعزال أو الذوبان، منها:

أ- تحديد معنى الاندماج المطلوب، وتحديد محتواه، بحيث يتميز عما يُراد منه من قبل بعض الجهات حيث تعني به الذوبان. ولذلك ينبغي السعي إلى التحوار مع المؤسسات الأوروبية للاتفاق على مفهوم مشترك للاندماج.

ب- أن يكون مُقيّداً بالمحافظة على خصوصية المسلم الممثلة في العقيدة والشعائر والأخلاق والأحكام الشرعية خصوصاً ما كان منها قطعياً، وأن تكون المرونة فيه في سياق ما هو قابل للاجتهاد من أحكام الدين.

ج- أن يتم من خلال احترام القوانين التي تُنظم المجتمعات الأوروبية.

د- أن يكون مبنياً على أساس من البحث العلمي للواقع الأوروبي.

هـ- أن يقوم على استثمار الفرص والإمكانات الكثيرة المتاحة في المجتمع الأوروبي.

و- أن يكون قائماً على أساس من الحوار المستمر مع مكونات المجتمع الأوروبي الثقافية والسياسية والاجتماعية.

إن أهم آليات الاندماج وأسبابه هي تزكية الفرد والجماعة المسلمة؛ وذلك للارتقاء به وبها إلى مستوى المثالية والقدوة في المجتمع الأوروبي. وتعتمد سبل تحقيقه على الاعتناء بالدور المهم لمؤسسة الأسرة، فهي المحضن الذي يتربى فيه الفرد على هويته الإسلامية، وعلى العلاقة بمجتمعه الذي يعيش فيه بالتفاعل المثمر. كذلك هي المحضن الأول لتمكين صفة المواطنة الصحيحة المقتضية احترام المجتمع والسعي في تحقيق مصلحته، مع بذل الجهد في تأهيل الأسرة المسلمة لتقوم بدورها الفاعل في القيام بدور الاندماج الإيجابي.

وتأتي سائر المحاضن المؤثرة في تكوين شخصية المسلم، كالمدرسة الإسلامية، والمركز، والمسجد، والنادي، جميعها في سياق التأهيل لاندماج إيجابي في المجتمع الأوروبي.

عولمة الثقافة:

يؤكد الكتاب... على أن مخطط إدماج الأقليات المسلمة في الكيان الثقافي الغربي... غالباً ما كان يلقي معارضة ومقاومة كبيرة من المسلمين... بسبب حرص الجاليات والأقليات المسلمة على التمسك بذاتيتها الثقافية وخصوصيتها الإسلامية الأصيلة... غير أن هذا الحرص من جانب المسلمين في الغرب... لا يعني انغلاقاً على الذات أو انعزلاً عن المجتمعات الغربية... حيث برهنت الجالية المسلمة في الغرب... على قدرتها على الاندماج الاقتصادي وقدرتها على التعايش مع سكان المجتمعات الغربية. ولما كانت التحولات العالمية الأخيرة... ومنها طموح العولمة الاقتصادية في أن تفرض أنموذجاً للعولمة الثقافية على المستوى العالمي... لذا فإن هذا الطرح الثقافي الجديد سيصطدم بثقافات الشعوب الأخرى ومنها الثقافة الإسلامية... وإذا كان <التوحيد الثقافي> بمثابة خطر جديد يواجه الأمة الإسلامية... فلا بد للأمة وهي تواجه هذه الأخطار أن تسعى جاهدة لحماية الجاليات والأقليات المسلمة التي تعيش في مجتمعات غير إسلامية... وذلك حتى لا تتعرض لأخطار الذوبان أو التذويب أو التغريب الفكري واللغوي والعقائدي.

٢- الجانب الاجتماعي والسياسي:

لعل قضية الاندماج الناتجة عن المواطنة تظهر بأجلى صورها في الجانب الاجتماعي والسياسي. وقبل أن أُلج في التفاصيل أطرح السؤال التالي: ما هو المقصود بالاندماج؟ هل المقصود به الذوبان في مجتمع الغربية أم التعايش المشترك والاحترام المتبادل؟ ولعل من المناسب هنا أن نفيد من تجربة المسلمين في أوروبا في هذا المجال، فالجالية المسلمة هناك أوسع تجربة منا في - أمريكا - زماناً، لأن الوجود الإسلامي في أمريكا حديث مقارنة بأوروبا.

لنستمع لأحد المنظرين الغربيين المعاصرين لنطلع على حقيقة الأمر. يقول: (فرانكو فراتيني) نائب رئيس المفوضية الأوروبية: "الاندماج يعني أن يتفق الناس على نفس المبادئ الرئيسة، أي أن المهاجرين يجب أن يقبلوا القوانين والأسس والقيم الرئيسة المتبعة في أوروبا مثل حقوق الإنسان والمساواة بين الرجل والمرأة وغيرها. ويجب على كل من يرغب في الاندماج في دول الاتحاد الأوروبي أن يحترمها" (١٩). ولا يخفي فراتيني مطلب الاتحاد الأوروبي بأن يكون الإسلام في دياره «إسلامًا أوروبيًا». وتعقيباً على هذا المطلب يقول بعض المسلمين إن الدعوة إلى إسلام أوروبي يعني هدم الإسلام نفسه، وهذا مما لا يمكن للمسلمين القبول به. والبعض يسأل: لماذا يستطيع الصيني أو الهندي أو المكسيكي أو غيرهم أن يعيشوا في أرض المهجر الغربية من دون أن يفقدوا هوياتهم الأصلية؟

روما (٩ تشرين الأول / أكتوبر) وكالة (آكي) الإيطالية للأبناء

اعتبر المفوض الأوروبي لشئون الأمن والعدل والحرية فرانكو فراتيني أن «اندماج الجاليات المسلمة في أوروبا يجب أن ينطلق من الأرض أي من الجذر» وقال فراتيني خلال مداخلة بالفيديو أمام ندوة عقدت في المركز الإسلامي بمدينة روما حول الحوار برعاية مؤسسة دوتشي: «إن أهم المسائل التي يتوجب على أوروبا أن تواجهها اليوم تتمثل في إيجاد توافق بين السياسات المحلية وتلك التي تتسم بطابع عمومي».

إلا أن بعضاً آخر من المسلمين يرى أن الاندماج من وجهة نظر الاتحاد الأوروبي يعني أن يصير المواطن المهاجر أو المسلم أوروبياً أولاً ثم مسلماً ثانياً، أو ما يسمّى أحياناً بالاعتدال، وهذا في رأيه خلط وتعدّد على حق المواطن والفرد في اختيار أولويات انتماءاته، لأنه يؤدي إلى تعنت وقسر، ومن ثم ضغط واضطهاد. ولكن من جانب آخر يشوب فهم المسلمين للاندماج أحياناً اللبس وضعف التفاهم حينها يعتقدون بأنه حقوق دون واجبات، والتزامات من قبل الدولة الغربية نحو الأفراد

دون مقابل من جهة الفرد (٢١). وفي هذا السياق يؤكد كتاب (استراتيجية العمل الثقافي في الغرب) الذي أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) «أن مخطط إدماج الأقليات المسلمة في الكيان الثقافي الغربي غالباً ما يلقي معارضة ومقاومة كبيرة من المسلمين؛ بسبب حرص الجاليات المسلمة على التمسك بذاتيتها الثقافية وخصوصيتها الإسلامية»^(١).

ذا ما قارنا بين وجهتي نظر المسلمين وحكومات الاتحاد الأوروبي حول الاندماج، اللتين عرضنا أبرز ملاحظتهما، نجد أن نقاط التلاقي بينهما أكثر من نقاط التباعد، فكلتاها تؤكد على مبادئ أساسية هي: الالتزام بالقوانين الخاصة بواجبات المواطنة وحقوقها، والأسس والقيم الرئيسة المتبعة في أوروبا مثل حقوق الإنسان، والديمقراطية، واللوائح الموضوعية من قبل الجهات الرسمية، والمشاركة الإيجابية والفعالة في مؤسسات المجتمع المدني، والأنشطة البيئية والاجتماعية في الحي والمدينة وعلى مستوى

(١) كتاب: (استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب) أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ويقع الكتاب في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط.. وقد وضعه مجموعة من خبراء الإيسيسكو ووضع مقدمته الدكتور عبد العزيز التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة... والكتاب في جوهره وثيقة حيّة من وثائق العمل الإسلامي المعاصر والكتاب ثمرة جهد كبير، شارك فيه عدد لا بأس به من العلماء والمفكرين، الذين عقدوا الكثير من الاجتماعات الفكرية عبر السنوات القليلة الماضية... حيث أكدت المناقشات، التي عقدت في كل من فرنسا وأسبانيا وبلجيكا... على ضرورة إعداد إستراتيجية للعمل الثقافي الإسلامي في الغرب... وقد تم إنجاز هذه الاستراتيجية في اجتماع ضمّ رؤساء المراكز والجمعيات الإسلامية في الغرب... خلال اجتماع في مدينة زغرب في كرواتيا مع لجنة من خبراء الإيسيسكو... ثم عُرضت بعد ذلك على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية... إلى أن عُرضت على مؤتمر القمة الإسلامية التاسع الذي عقد في مدينة الدوحة عاصمة قطر في نوفمبر العام ٢٠٠٠م، فأقرها... وبذلك أصبحت هذه الإستراتيجية دليلاً على وعي الأمة وإرادتها الجماعية لحماية الهوية العقائدية للجاليات والأقليات المسلمة في الغرب

الدولة، وبناء العمل المؤسسي، والبعد عن التمحور حول العرقية والمذهبية والطائفية، واعتبار المسلمين جزءاً أساسياً من المجتمعات الأوروبية، ومن تاريخها وحاضرها ومستقبلها.^(١)

- العزلة الشعورية.
- عدم المشاركة في المناسبات الدينية للآخرين.
- المشاركة في بعض المناسبات الاجتماعية كعيد الشكر.
- المشاركة السياسية.
- الحصول على الجنسية وهل يتعارض مع عقيدة الولاء والبراء.

(١) الدكتور أسامة القفاش، «الإسلام والمسلمون في أوروبا بعد ١١ سبتمبر»، الموقع الإلكتروني www.elnfeas.net، وكذلك «الأقليات المسلمة في الدول الأوروبية أمل وألم ٢» موقع مفكرة الإسلام الإلكتروني www.islammemo.cc :

المبحث الثاني

نظرة تاريخية للأقلية المسلمة في بلاد غير المسلمين

عاش المسلمون كأقلية في مجتمعات غير المسلمين في بلاد متعددة، وفي أزمنة مختلفة فكانوا نعم الضيوف في البداية، ونعم القاطنين المستوطنين في النهاية. ولم يشكّلوا في تاريخهم تهديداً لحضارة بلد أو ازدهاره بل ساهموا - وبصورة فعالة جداً في التطور بشتى أشكاله ومختلف مناحيه.

مثال من البلاد الروسية:

يعود تاريخ الإسلام في روسيا إلى ما قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة. فقد أعتنق بعض المواطنين الدين الإسلامي في منطقة حوض الفولغا رسمياً قبل قرن من إعلان الأرثوذكسية دينا لروسيا. الإسلام الآن هو الدين الثاني في البلاد من ناحية عدد معتنقيه بعد الدين المسيحي الأرثوذكسي. ويعيش في روسيا في الوقت الحاضر وفقاً لتقديرات الخبراء من ١٥ إلى ٢٤ مليون مسلم. وإن عدد أبناء الشعوب التي تتمسك بالتعاليم الإسلامية في روسيا وفقاً للإحصاء السكاني الأخير الذي أجري في البلاد عام ٢٠٠٢ يصل إلى ما يقارب ١٤ر٥ مليون نسمة.

(ومع القرن السادس عشر كان الإسلام قد صار جزءاً لا يتجزأ من نمط الحياة في الفولغا وفي كل من تترستان وبشكيريا على وجه الخصوص. وبينما حدث الصدام المسلح بين الإمارة الروسية وتترستان يشير آيسولو يونسوف إلى أنه قد حدث نوع من الاتفاق بين البشكير والقيصر الروسي إيفان الرهيب على دخول بشكورتوستان في مركب روسيا القيصرية مع احتفاظها بالإسلام ديناً، بحيث تنجو من الدخول عنوة أو أن تجبر على اعتناق المسيحية.

ورغم احتفاظ تترستان وبشكيريا بالإسلام، إلا أن ارتوذوكسية روسيا القيصرية لم تنفك تحاول إجبار المسلمين على ترك دينهم بالترهيب تارة أو بدفع رواتب وإغراءات مالية تارة أخرى، بل إنها لم تتورع خلال القرن السادس عشر عن رفع الصلبان محل المآذن.

ومن الخصوصيات الأخرى التي ميزت إسلام بشكيريا وتترستان التعارض بين القوانين الاقتصادية للإسلام وقوانين روسيا المسيحية خاصة فيما يتعلق منها بممتلكات الوقف التي كانت تتبع المؤسسات الدينية والتي صادرتها السلطة القيصرية دون اعتناء بالمضمون الديني للوقف. فبعد أن استولى الروس عنوة على مدن كازان واستراخان تعرض التتار (والكلام هنا مقتبس من منظمة يونسوف التابعة للأمم المتحدة) لعملية مسخ الهوية الإسلامية وصبغها بصبغة مسيحية. وبدأت سلسلة تدمير المساجد في إقليم نهر الفولغا.

اجتاحت الشيوعية روسيا في النصف الأول من القرن العشرين، وسرعان ما أعادت مفاهيم القهر والتضييق وازدراء الدين؛ فقد نظر البلاشفة إلى الدين باعتباره أفيوناً للجماهير، ومن ثم صنفته كعدو للشعوب السوفييتية، وهكذا عمل السوفييت على إجهاض المؤسسات الدينية التي تشكلت خلال الفترة الرأسمالية والتي حسب الرؤية الشيوعية استغل فيها: (رجل الدين) الإنسان الكادح.

وجاء ضرب الإسلام نتيجة خوف البلاشفة من الأفكار التي شاعت مبكراً بين مسلمي الإقليم حول الجامعة الإسلامية أو الجامعة التركية، وهي أفكار كفيلة لو تحققت بتهديد روسيا التي كانت ما تزال تصاغ حدودها في ذلك الوقت. وكان انهيار الإمبراطورية العثمانية عشية الحرب العالمية الأولى واختفاء الخلافة الإسلامية جنباً إلى جنب مع ظهور العلمانية في عديد من دول العالم الإسلامي في الربع الأول من القرن العشرين بمثابة الظروف التاريخية المثلى التي ساعدت البلاشفة على توصيل حملتهم المعادية للأديان إلى المناطق الإسلامية الخاضعة لحكمهم، وأن السعي إلى تحريك

«الجمهير الإسلامية الكادحة» وخلق إنسان مسلم سوفيتي جديد في المناطق الإسلامية لم يكن ليتأتى من دون علمنة لهذا المجتمع..

وهكذا قامت الدعاية الإلحادية بمهاجمة ما أسمته «الرجعية» الإسلامية التي تقف عقبة في سبيل بناء المجتمع الشيوعي. أما القيم التي تم نقلها للشباب عبر الحزب الشيوعي ولجانة الشبابية، فقد سعت إلى إزاحة العادات والتعاليم الإسلامية عن السطح.^(١)

من هنا نرى أن المسلمين في تلك البقعة لم يشكلوا خطراً على المجتمع، ولم ينفصلوا عنه بل عاشوا مسالمين رغم البطش والظلم اللذين مورسا عليهم، ورغم قيام السلطات بغصب أوقافهم الإسلامية، و تدمير وإغلاق كثير من مساجدهم إبان الحكم البلشفي، حيث حُول الكثير منها إلى مخازن وإسطبلات!

(١) نقلا عن الصفحة الإلكترونية ل: (بلقيس اليمن) مع بعض التصرف www.p-yemen.com

الفهرس

٢	مقدمة
٤	المبحث الأول: الرد الفقهي على هذه الشبهة
٥	تعريف المواطنة:
٧	موقف الإسلام من المواطنة:
٨	الشبهات المثارة حول موقف الشريعة من مفهوم المواطنة:
٨	١- الجانب الفكري:
١٢	عولمة الثقافية:
١٢	٢- الجانب الاجتماعي والسياسي:
١٦	المبحث الثاني: نظرة تاريخية للأقلية المسلمة في بلاد غير المسلمين
١٦	مثال من البلاد الروسية:
١٩	الفهرس